

المكان وأهميته

في قيام الخلافتين الأموية والعباسية

د. هاشم عبد الراضي (*)

لا شك أن الخلافتين: الأموية والعباسية هما أكبر القوى السياسية، والأنظمة الحاكمة التي هيمنت على مقاليد الأمور في العالم الإسلامي، منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا (دون النظر للخلافة العثمانية). وأن ملامح كلٍّ من هاتين الخلافتين (قوتها، وضعفها) إنما انبثقت من طبيعة الشخصية العربية المتميزة التي استند عليها كلٌّ من الأمويين والعباسيين في تأسيس دولتهم، وتثبيت كيانهما، واستمرار نفوذها وبقائها. تلك الشخصية التي اكتسبت خصائصها، من البيئة المحيطة، بها، جغرافياً وسياسياً واجتماعياً.. فاعتمدت الخلافة الأموية مثلاً- العصبية القبلية قاعدة لحياتها السياسية، واتجاهاً لمختلف علاقاتها.

وقد يكون من الضروري أن نلقي الضوء على أهمية المكان في تكوين الشخصية الإقليمية لأية منطقة، حتى نقف على الدور الذي تضطلع به البيئة أو المكان في نمو الشخصية الإقليمية للمناطق التي شهدت مخاض هاتين الدولتين. إذ إن الشخصية الإقليمية - على حد تعبير د. جمال حمدان^(١) - شئ أكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيعات الإقليم، أي شئ أكبر من مجرد

(*) مدرس بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم . جامعة القاهرة .
والبحث ألقى في مؤتمر البيئة الثاني بكلية دار العلوم جامعة الفيوم سنة ٢٠٠٤م ، وفي
الندوة العلمية (السيمينار) بقسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم .جامعة القاهرة سنة
٢٠١١م .

(١) شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ج١/ص ١١٠ ط . دار الهلال ، العدد ٥٠٩ ،
سنة ١٩٩٦م .

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

جسم الإقليم وحسب. فهي تتساءل أساساً عما يعطي منطقة تفرداً وتميزاً بين سائر المناطق ، محاولة إلى أن تنفذ إلى روح المكان، لتستشف "عبقريته الذاتية" التي تحدد شخصيته الكامنة، وهذا ما يعرف بـ عبقرية المكان."

وفي ضوء ما تجود به المصادر التاريخية: نلمح ظاهرة تسترعى الانتباه في هذا الصدد. ألا وهي العلاقة بين الفكرة السياسية والمكان بالأحداث الكبرى. وعليه فإننا نقرر - سلفاً- بأن المكان وحده قد لا يكون كافياً لإحداث التغيرات السياسية. وإنما يمكن أن يكون للمكان دور حاسم عندما تتضافر معه عوامل أخرى تسانده.

وفي استعراض تاريخي عابر - بين يدي البحث- لأماكن الثورات الكبرى ذات الآثار البعيدة والتحولات السياسية، ودراسة الأسباب التي ساعدت على إنجاح هذه الثورات يمكن لنا أن ندرك بوضوح خصوصية المكان وأهميته في هذا البحث.

وعلى ضوء فهمنا لعبقرية المكان وأثر هذه العبقرية في تشكيل المكونات الحضارية لهذا المكان، نستهل ورقتنا بطرح تساؤل نسعى - من خلال هذه الأطروحة البحثية - أن نجد الإجابة عليه: فنقول: "هل كان لعبقرية المكان أثر في قيام كل من الخلافتين الأموية، والعباسية؟.. أو بالأحرى: هل كانت هناك بيئة أكثر صلاحاً وأفضل مناخاً لإنبات بذور هاتين الدولتين ونضج ثمارهما؟؟"

بل إننا لنذهب إلى أبعد من ذلك. فنطرح سؤالاً استنكارياً آخر: لماذا لم يكن قيام كل من هاتين الخلافتين في أرض الحجاز، وهو الإقليم الذي نشأ فيه بنو أمية، وبنو العباس؟؟

وعليه فقد أصبح من الضروري أن نقف على فلسفة المكان الذي اختاره الأمويون مهذاً لقيام دولتهم. وإن اقتضى هذا معرفة شيء ما عن التوزيع والتحركات القبلية في المنطقة (بلاد العرب وفارس).

* *

ينتسب الهاشميون والأمويون إلى جد واحد، هو عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ، أو هم من مضر. وكانت لمضر الرئاسة على سائر بني عدنان، حيث كانت لهم الرئاسة بمكة خاصة^(١). ومن ثم فقد ورث بنو عبد مناف هذه الزعامة في مكة لا يناهضهم فيها أحد من بطون قريش.. وجميع قريش تعرف ذلك، وتسلم لهم الرياسة عليها.^(٢)

وحصل أبناء عبد مناف (عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل) على الرفاة والسقاية، وخصوا بها أخاهم هاشم بن عبد مناف، لأنه كان أكثرهم ثروة وجاهاً. وبعد وفاة هاشم صارتا (الرفاة والسقاية) للمطلب بن عبد مناف ثم لعبد المطلب بن هاشم (جد النبي ﷺ).

وخلاصة القول في هذا أن العلاقات بين الهاشميين والأمويين قبل الإسلام كانت علاقات أخوة متينة وتضامن كامل... حتى جاء الإسلام، فوقف معظم الأمويين موقف العداء من الدين الجديد وصاحبه ﷺ. ومن ثم فقد ذهب بعض المؤرخين إلى تأصيل النزاع بين بني الهاشميين والأمويين فكتب المقرئ "النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم". إلا أن ما أورده المقرئ لا

(١) ابن خلدون: العبر ٢/ ٦٣٠ ، ط . بيروت ، د. ناجي حسن: القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي ، ص ٤٠.

(٢) د. عبد الشافي عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي ، ط الرابعة . مكتبة المتنبى سنة ٢٠٠٢م — ص ١١ ، عبد الملك بن حسين العصامي: النجوم العوالي جـ ٣/ص ٢. ط . دار الكتب العلمية — بيروت ١٩٩٨م.

يخلو من مبالغات، وأن كل ما كان بين بني هاشم وبني أمية - قبل الإسلام - لم يكن يخرج عن المنافسة على الشرف والسيادة، ولم يصل أمر المنافسة هذا إلى خصومة أو حرب بين الهاشميين والأمويين. بل كانوا إذا تنافسوا في أمر تتافروا فيه^(١) - على عادتهم في الجاهلية. ومثل ذلك ما حدث بين هاشم بن عبد مناف وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: يقول البلاذري: "كان أمية بن عبد شمس ذا مالٍ متكلفاً أن يفعل كما فعل هاشم في إطعام قریش، فعجز عن ذلك، فشمت به ناس من قریش، وعابوه لتقصيره، فغضب ونافر هاشماً على خمسين ناقة، تحر بمكة وعلى الجلاء عشر سنين، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي (جد عمرو بن لحي)، فقاضى الكاهن لهاشم على أمية، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعم لحمها من حضر، وخرج أمية إلى الشام، فأقام بها عشر سنين"^(٢).

ومن هنا - كانت بداية معرفة بني أمية بإقليم الشام، ومعرفة أهل الشام ببني أمية. بيد أنه ينبغي أن ننوه على أن بعض القبائل العربية كانت قد استوطنت الشام في زمن مبكر^(٣)، وتعودت على هذا الإقليم، ولم تخش التوغل في أراضيه.

ويصف اليعقوبي^(٤) القبائل وتوزيعها في البلاد الشامية بقوله: "حماة مدينة قديمة وأهلها من يمن، والأغلب عليهم بهراء وتنوخ. وأهل حمص جميعاً

(١) المنافسة نوع من أنواع الاحتكام إلى أحد الكهان ، انظر د. عبد الشافي عبد اللطيف، مرجع سابق، ص ١٣.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ج ١/ ص ٦١، تحقيق: د/ محمد حميد الله ، د. عبد الشافي عبد اللطيف : مرجع سابق، ص ١٤.

(٣) ربما كان ذلك لاعتبارات اقتصادية ، انظر ياقوت: معجم البلدان ٢ / ط. دار صادر - بيروت ، ص ٧٢ ، د. ناجي حسن: مرجع سابق، ص ٦٥.

(٤) البلدان ص ٣٢٤-٣٢٧.

د. هاشم عبد الراضي

من طئ ، وكندة، وحمير، وكلب، وحمدان ومدينة شيزر وأهلها قوم من كندة، ومدينة جبلة وأهلها حمدان وبها قوم من قيس.

وما من شك في أن الباحث في تاريخ بني أمية يتحتم عليه استعراض وضع القبائل العربية وتوزيعها الجغرافي الشمالي، والجنوبي، وما تبع هذا التقسيم الجغرافي من تقسيم في النسب حيث عرب الشمال العدنانيون ، الذين ينقسمون إلى: (مضر)، و(ربيعة). وعرب الجنوب ويدعون باليمانيين. وعرب الجنوب هؤلاء أصحاب حضارات ترجع إلى عهد بعيد (الحضارة المعينية، السبئية، الحميرية)، والبيئة ينتسبون إلى كهلان والحميرية إلى قحطان. ومع انهيار سد مأرب نزحت كهلان من اليمن . ومن قبائل كهلان قبيلة كبيرة جداً، وهي قبيلة أزد، ومنها الغساسنة، الذين أقاموا في جنوب الشام وأسسوا ملكاً هناك. أما القبائل القحطانية، فبقي معظمها في اليمن. بينما هاجرت منها قبيلة كبيرة إلى بلاد الشام^(١)، وهي قبيلة بني كلب التي لعبت دوراً كبيراً في ترسيخ دولة بني أمية.

• بنو أمية والمشروع السياسي في الشام

وبالعودة إلى ما أسلفنا ذكره عن العلاقة بين بني أمية وبني هاشم. نلاحظ أن أمية قد فشل في مشروعه السياسي الذي استهدف من خلاله السيطرة على وظائف الكعبة بعد أن أسفرت المنافسة^(٢) (على عادة العرب) عن رحيله إلى بلاد الشام طاوياً في نفسه عقده السياسية من هاشم وأبنائه. ثم قاد سفيان بن حرب (المسمى صخراً) وهو والد معاوية حركة العداء للنبي الهاشمي ﷺ، فكان من أشد المعارضين له، حتى لا يعود فيخسر مشروع أمية السياسي لذلك فقد أشرف بنفسه على قيادة معظم حملات قریش الوثنية لمواجهة دعوة محمد صلى

(١) د. يوسف العش: الدولة الأموية، ط. بيروت ص ٢٣.

(٢) راجع هامش (٣) في الصفحة السابقة .

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

الله عليه وسلم التي اعتبرها مشروعاً سياسياً لهاشم لا أكثر ولا أقل. ولم يتخل هو عن مشروعه السياسي إلا حين أيقن الخسارة الأكيدة أمام مد الحركة الإسلامية التي قادها النبي ﷺ بنفسه، والتي بلغت ذروتها السياسية في الانتصار على مشروع أمية السياسي على يد أعظم أحفاد هاشم يوم فتح مكة المشهود^(١). فكانت حصيلة هذا الفتح العسكري والسياسي، هو الاستسلام التام من قبل أبي سفيان، عبر إشهار كل من ابنه معاوية، وزوجه هند بنت عتبة الإسلام، وأفاد هو نفسه من معاملة الرسول الكريم له يوم الفتح، وبدخوله الإسلام. انضوت الزعامة الأموية في السلطة الإسلامية وهو ما يعني القضاء على سلطة بني أمية ومشروعهم السياسي، دون أن يتم محق الجذور السياسية والسلطوية في نفوسهم بصفة كاملة. ثم ساعد على ابتعاث هذه الزعامة في نفوسهم مشاركتهم في السلطة الإسلامية، فقد كان معاوية نفسه من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، استنكبت معه من بني أمية خالد وأبان ابنا سعيد بن العاص^(٢). كما عين رسول الله ﷺ عتاب ابن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس "أول والٍ على مكة بعد فتحها"^(٣).

-
- (١) د. قصي الحسين: تجديد الدولة العربية زمن الأمويين ص ٦/ط. لبنان سنة ١٩٩٧م.
- (٢) د. عبد الشافي عبد اللطيف: مرجع سابق، ص ١٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١/ص ٢٦١ مؤسسة الرسالة / بيروت ١٩٨٦م، ابن حجر العسقلاني: الإصابة في معرفة الصحابة، المكتبة التوفيقية. القاهرة. ج ١/ص ١٥.
- (٣) ابن هشام: سيرة ابن هشام ج ٤/ص ٦٩، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط. الحلبي سنة ١٩٥٥م. خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ابن خياط ص ٩٧. تحقيق: د/ أكرم العمري، ط. دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٩٥م.

وتمضي الأحداث . لنجد أبا بكر رضي الله عنه وقد عقد لواء من ألوية فتح الشام^(١) ليزيد بن أبي سفيان. يقول الذهبي عن يزيد: " هو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبوبكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر ومشى تحت ركابه يسايره ويودعه ويوصيه، وما ذلك إلا لشرفه، وكمال دينه^(٢) .

ويروى الطبري^(٣) أنه لما اجتمع أناس بعد تسيير هذه الجيوش - يرغبون في الجهاد وجه بهم أبو بكر إلى الشام ليلحقوا بجيش يزيد وجعل عليهم أميراً معاوية بن أبي سفيان.. وخرج أبو سفيان يومئذ وهو شيخ كبير - مقطوعاً مع ولديه يزيد ومعاوية، واصطحب معه زوجته هند بنت عتبة، وابنته جويرية بنت أبي سفيان.

وهكذا نزلت أسرة بني أمية إلى الشام في رحلة جهاد ستكون هي الخطوة الأولى في استئناف المشروع السياسي الأموي، لاسيما، بعد أن أقر عمر بن الخطاب - إثر توليته الخلافة- يزيد ابن أبي سفيان والياً على دمشق، بل وزاد عمر في عمل معاوية بالشام، فقد ضم إليه ولاية حمص فوق ما كان يتولاه من أعمال مدن الساحل. وأصبح منوطاً به حماية الحدود الشمالية للدولة الإسلامية ، لاسيما بعد أن انطلق عمرو بن العاص لفتح مصر.

(١) كما كان على رأس أحد جيوش أبي بكر إلى الشام بطل آخر من بني أمية وهو "خالد بن سعيد بن العاص" الذي استشهد هو وإخوته في معارك الروم. الواقدي : فتوح الشام، ج١/ص٣-٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/٣٢٨.

(٣) الطبري : تاريخ الطبري ج٣/ص٣٩١-٣٩٤ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. دار المعارف . القاهرة ١٩٦٠م ، البلاذري: فتوح البلدان ، تحقيق : د/ صلاح الدين المنجد / مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ، ، د. حمدي شاهين: الدولة والمجتمع في العصر الأموي ، ص٤٥. دار النشر للجامعات سنة ١٩٩٩م.

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

وبذلك ترسّخت أقدام بني أمية في بلاد الشام، وبخاصة بعد أن أسند عمر بن الخطاب لمعاوية ولاية الشام كلها خلفاً لأخيه يزيد الذي توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ.

ويبدو أن الأسرة الأموية كانت تؤهل معاوية لتحقيق الطموح السياسي لبني أمية، حتى إن أمه عندما قيل لها: إن ابنك هذا سيسود قومه، قالت: ثكلته إن لم يسد إلا قومه. كما قالت لابنها تستهض فيه أطماع بني أمية في السلطة: "والله يا بني قل أن تلد حرة مثلك، وأن هذا الرجل (يعني عمر بن الخطاب) قد استنهضك في هذا الأمر (الولاية) فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت. وقال له أبوه: يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله، وقصّر بنا تأخيرنا، فصاروا قادة وسادة وصرنا أتباعاً، وقد ولوك جسيماً من أمرهم فلا تخالفهم، فإنك تجري إلى أمدٍ فنأفِسُ فإن بلغت أورثته عقبك".^(١)

وعلى الرغم من نصح الأبوين بطاعة الخليفة. إلا أنهما لم يخفيا تطلعات بني أمية نحو استكمال المشروع السياسي الذي يأملون في توريثه إلى أعقابهم. وهو ما وضعه معاوية نصب عينيه، وبذل قصارى ما في وسعه ليترجم ذلك واقعاً على مسرح السلطة.

وقد حاول معاوية منذ خلافة عمر أن يجعل لوجوده في بلاد الشام صفة مميزة، من حيث فرض هيبة الحكم والسلطان، واتخاذ أبهة الملك، والتخلي عن مظاهر الخشونة التي التزمها الصحابة، فأصبح لا يسير إلا في موكب يحيط به الحراس والحجاب، ومظاهر الترف والعظمة، وقد استنكر الخليفة عمر بن الخطاب هذا الأمر عندما استقبله معاوية في الشام في مثل ذلك الموكب، قائلاً:

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١١٨/٨، البلاذري: أنساب الأشراف ٩/١.

"أكسروية يا معاوية ؟ تروح في موكب وتغدو في مثله ؟ وبلغني أنك تصبح في منزلك ونو الحاجات ببابك. فقال : يا أمير المؤمنين إنا في ثغر تجاه العدو، وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة^(١) . ولهم عيون وجواسيس، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً، وهكذا استطاع أن يبرهن معاوية لأمير المؤمنين عمر عن فهم عميق لضرورات السياسة وتغيير البيئة والمجتمع، وأثر ذلك كله على التطوير السياسي لأدوات الحكم.

وبدا معاوية - في أعقاب الفتنة التي حدثت في أواخر عهد عثمان - يخطط لنقل السلطة من الحجاز إلى الشام، ومن الراشدين إلى الأمويين. وتضافرت العوامل لتحقيق هذا الهدف، بعد أن تغيرت رقعة العالم الإسلامي بنتيجة الفتوح، بحيث لم تعد المدينة صالحة لأن تكون عاصمة لتلك الرقعة الكبيرة، إذ إنها أصبحت نائية عن أطراف تلك الرقعة، ولا تستطيع أن تتحكم فيها. وأصبحت دمشق أصلح لأن تتخذ مقراً للعاصمة. كما تغير مركز النقل أيضاً في اقتصاد الدولة، فالحجاز أصبح يعيش على ما تأتیه به الأقطار المفتوحة من غنائم، وليس له أثر اقتصادي فيها اللهم إلا أنه صاحب السلطان في توزيع دخل الدولة^(٢) .

ومع مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ، تفككت الوحدة السياسية التي وثق روابطها الرسول ﷺ ، حينما أخرج العرب من عصبيتهم القبلية الجاهلية إلى وحدة سياسية واحدة تصرف جهودها لحماية عقيدتها.

(١) ابن خلدون: المقدمة ص، ٢٠٣، تحقيق : د/ علي عبد الواحد وافي ، ط. الثالثة . القاهرة. الطبري: تاريخ الطبري ٢٣١/٥، ابن كثير ، السابق ١٢٤/٨-٢٥، ثم انظر أيضاً د. ليبي إبراهيم أحمد وآخرين: الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، ص٨، د. حمدي شاهين : مرجع سابق، ص٥٢.

(٢) د. يوسف العش: الدولة الأموية ، ص١٣٢.

وقد اجتمع الناس بأغلبية مطلقة لا تصل إلى حد الإجماع على مبايعة عليّ الذي يادر بعزل ولاية عثمان لاعتقاده بأن ذلك كان من دواعي الفتنة التي أدت إلى اضطراب الأمور وأودت بحياة عثمان. فصلاح الأحوال إذن - حسب اجتهاده- وتهدة الأمور لم يكن ممكناً إلا بعزلهم، لذلك لم يقبل نصيحة من أشار عليه بإبقائهم بعض الوقت حتى تهدم الأحوال ثم يرى رأيـه - وأصدر تعليماته بأن يعين (سهل بن حنيف) والياً على الشام بدلاً من معاوية (١).

والواقع أن معاوية كان يملك القوة العسكرية في الشام، التي لم تقبل حاكماً غير معاوية، ولا تعرف ولاء إلا لبني أمية. وهنا أعلن معاوية رفضه لعلـي خليفة ولسياسته وقراراته، حيث استغل صلة قرابته بعثمان، واعتبر نفسه ولي الدم، فنادي بالقصاص من قتلته، بل وطالب علياً أن يسلمه القتلة.

وهكذا بدت محاولات عليّ لترسيخ وضعه في ولاية الشام فاشلة، إذ كان أهل الشام يرفضون موالاته سواء أوفد مندوبين يعملون لتأمين الولاء، أو أعلن صرف معاوية من منصبه أو تنبئته فيه. يقول أحد الباحثين (٢): والواقع أنه كان لمعاوية بعض ما يبرر طلبه بالنار، والأهم من ذلك أنه كان يملك القوة العسكرية- (على نحو ما أشرت) في سورية (الشام) لدعم طلبه. ومع ذلك فإن فكرة بلوغ ولاء (أهل الشام) له من العمق حداً يحمل ولاية بكاملها على الثورة للنار لجريمة اغتيال واحدة أمر لا يصدق. والأكثر احتمالاً هو أن النار لعثمان كان يوفر ستاراً ممتازاً لخلافات أشد واقعية. إن جميع الظروف تحملنا على الاعتقاد بأن الخلاف بين علي ومعاوية يركز على وضع الشام الخاص. " ذلك أن سورية (الشام) كانت تحظى بكثير من الامتيازات على المستوى

(١) الطبري، ج ٤/ص ٤٤٢، د. عبد الشافي عبد اللطيف: مرجع سابق، ص ٧٤.

(٢) محمد عبد الحي شعبان: صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٨٤-٨٥، الأهلية للنشر -

بيروت، ١٩٨٣م.

د. هاشم عبد الراضي

الاقتصادي والاجتماعي، فضلاً عن قوتها العسكرية . وقد أشار د. عبد الحسي شعبان إلى أن معاوية وأهل الشام كانوا مقتنعين بضرورة إبقاء إقليم الشام بعيداً عن الهجرة غير المحدودة إليه، كالتي كانت تضر بالعراق، لضمان استقرارها وسلامتها في وجه الخطر البيزنطي ، بيد أن علي بن أبي طالب كان يرى رأياً آخر، فهو لم يكن يرى سبباً لمنح السوريين مركزاً مميزاً لمجرد أنهم يقومون بواجبهم في الدفاع عن حدودهم، لذلك فهو يرى أن يسهم إقليم الشام (سورية) بحل مشاكل الأمة كلها حتى ولو كان ذلك يعني فقدان امتيازات عزيزة، وهدم ما حققه معاوية خلال ولايته (١) .

* *

• الأمويون والدعاية السياسية:

تتبع الفلسفة التي تقوم عليها الدعاية السياسية — عادة — من النظرية السياسية. فلكل عصر، ولكل مجتمع نوع من الاتصال الذي يناسبه ويلائم ظروفه ويتمشى مع أفكاره، ومن هنا كان الاتصال الإعلامي في عصر الرسول ﷺ غيره في العصر الأموي — غيره في العصر العباسي — غيره في العصر الحديث الذي نعيش فيه (٢).

ولا شك أن الإعلام أو الاتصال بالناس (الاتصال الجماهيري) هو الوسيلة الوحيدة لإيجاد التفاهم بين الحاكم والمحكوم منذ أقدم العصور، وحاجة الحكام إلى هذا الاتصال أشد من حاجة المحكومين.

(١) مرجع سابق، ص ٨٥، ويلاحظ أن عثمان كان قد ألحق الجزيرة بولاية معاوية.

(٢) د. محمد منير حجاب: الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديماً وحديثاً، ص ١٥٣. دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٩٨م.

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

لذلك وجب علينا أن نتعرف على الخطوات التي سلكها معاوية في تحقيق هذا الاتصال الجماهيري الذي يحقق النجاح للدعاية السياسية لمشروعه السلطوي. حيث اتصل معاوية بنائلة بنت الفرافصة (زوج الخليفة المقتول عثمان) ، فأرسلت إليه قميصه الملطخ بالدم، وأصابها المقطوعة^(١).

وقد عمد معاوية إلى وضع القميص على المنبر، وظل مدة سنة كاملة يعرض القميص والأصابع في المسجد إثارة لنفوس الناس، وتحريضاً على الخليفة علي بن أبي طالب ؛ حتى لا يتسنى له وأد الفتنة المفتعلة بسهولة والقضاء على نتائجها السلبية . وكان سياسة معاوية هنا ترمى إلى إغراق الأمصار والديار في حروب أهلية لا تنتهي إلا بزوال سلطة بني هاشم المتصلة بعلي، واستعادة سلطة أمية بوصول معاوية مباشرة إلى سدة الحكم خلفاً لعثمان^(٢).

وبذلك فإن معاوية - في اعتقادنا- كان ماضياً في تحقيق مشروعه السياسي للوصول إلى السلطة، وهو يبدو متعقباً للقتلة، بيد أنه لم يهتم كثيراً بالوصول إليهم وإنزال العقوبة بهم، وجعل أمر الخلافة شورى بين أفراد الأمة. والدليل على ذلك أن المراسلات التي تمت بينه وبين علي، كانت تدور حول أحقية كل

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤٣/١ - ٤٤، ط. دار صادر - بيروت ، المقرئزي: النزاع

والتخاصم ص ٥٨. المطبعة الحيدرية ، النجف سنة ١٩٦٦م.

(٢) د. قصي الحسين : تجديد الدولة العربية زمن الأمويين ، ص ١٤ ، ط . لبنان سنة

١٩٩٧م.

منهما في قيادة الجماعة الإسلامية، وليس فيها ما يدل على إخلاصه لقضية القصاص من قتلة عثمان، أو رغبته في مجرد القبض على القتلة^(١).

فضلاً عن أن مفاوضات التحكيم التي تمت بعد ذلك (أعقاب صيفين سنة ٣٧هـ) لم يشر فيها عمرو بن العاص ممثل معاوية لشئ من قضية عثمان. وإنما انحصرت أفكاره في خلع علي بن أبي طالب وتثبيت معاوية، وكأنه كان ندأ للخليفة الشرعي. كما أن أحداث التاريخ لا تشير إلى أية خطوات عملية اتخذها معاوية - بعد أن بويع له بالخلافة سنة ٤١هـ - نحو القضية ذاتها، التي يبدو أنها تبخرت مع تحقيق معاوية لمشروعه السياسي.. ثم ألم يقتل اثنان من العشرة المبشرين بالجنة بمكيدة وأيدي حلفاء معاوية؟؟. حيث قتل طلحة بن عبد الله بمكيدة من الأحنف بن قيس، كما لقي الزبير بن العوام حتفه بسهم مباشر أصابه به مروان بن الحكم^(٢) أحد أركان معاوية في مشروعه السياسي.

* معاوية وأهل الشام:

ولما فرغ علي بن أبي طالب من معركة الجمل، راسل معاوية ليخبره بين المبايعة والحرب إلا أن معاوية اختار المناورة؛ متذرعاً باستشارة أهل الشام: وكتب إلى عمرو بن العاص يدعوهُ إلى اجتماع عاجل من أجل التنسيق في المواقف، واعدأ عمراً بولاية مصر التي كان قد عزل عنها، حتى يدخل معه المعركة السياسية ضد علي.

(١) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال ص ١٤١، تحقيق: د/ جمال الشيال، عبد المنعم عامر، شركة الأرقم بن أبي الأرقم سنة ١٩٩٦ م، د. قصي الحسين: مرجع سابق، ص ١٤.

(٢) الدينوري: السابق ص ١٤٨، الطبري: ج ٤/ ص ٥٠٨-٥٠٩، د. قصي الحسين: مرجع سابق، ص ١٤. فضلاً عما هو ثابت من مقتل خُزْر بن عدى رضي الله عنه.

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

وبدأ معاوية يجني ثمار الدعاية السياسية التي سلكها من قبل، حيث قويت شوكمته بالتفاف أهل الشام حوله وطاعتهم له، فمنذ أن وصلهم قميص عثمان مع النعمان بن بشير الأنصاري - على نحو ما أسلفنا- وهم قد عقدوا العزم على التصدي لعلي والوقوف إلى جانب معاوية الذي استأثر بمشاعرهم، بل ولم يستتف أن يستقطب قلوب البعض بإغداق العطايا والأموال التي وظفها في هذا الغرض. وقد ذكر الطبري أن الرجال من أهل الشام آلوا على أنفسهم ألا يأتوا النساء، ولا يمسهن الغسل إلا من احتلام، ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان^(١).

يقول أحد الباحثين^(٢): "وقد استخدم معاوية الأموال في دعايته ضد علي، بذلها لجذب الأنصار وجعل يطالب بدم عثمان، ويحمل علياً جريمة مصرعه، وينادي بأنه قريب عثمان وولي دمه، وقد قتله الثوار مظلوماً فلا بد أن يثار من قاتليه".

ولهذا بني معاوية سياسته على الطعن في أعدائه وعلى رأسهم علي بن أبي طالب، في حين أن علياً كان لا يرضى لنفسه ولا يرضه له دينه وخلقه أن يبني سياسته الإعلامية على الطعن في أعدائه بنفس الطريقة التي استعملها معاوية. لذلك وجدنا الإعلام وسيلة علي، أما الدعاية فكانت وسيلة معاوية.. والإعلام ليس سوى طريق واحد هو الصدق.. أما الدعاية فطريقها أحياناً الصدق والكذب أحياناً أخرى، بمعنى آخر كما قال معاوية: " للوصول إلى الحق ينبغي أن نخوض كثيراً من الباطل"^(٣).

(١) تاريخ الطبري، ج ٤/٥٦١-٥٦٣.

(٢) د. محمد منير حجاب: الدعاية السياسية، ص ١٧٦.

(٣) د. عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، ص ٢٤٦.

وعلى ضوء ما سبق لم يتورع معاوية عن الاتصال بالبيزنطيين لتحسين علاقته بهم، فكتب إليهم يريد مسالمتهم وعقد الصلح معهم، وبادره إلى إطلاق أسراهم^(١).

ودعا أهل الشام إلى السير خلفه لمواجهة أهل العراق إذا ما قرر عليّ الزحف نحوه . ولما تيقن معاوية من أن علياً قرر أن يحسم المعركة عسكرياً، دفعه ذلك لمواجهة عليّ بجيش قوامه أهل الشام. وقد كان في عداده عمرو بن العاص ورجاله، حيث اتجها إلى صفين (قرب نهر الفرات) وأسفرت المعركة عن اللجوء إلى التحكيم الذي ترتب عليه تراجع جيش علي إلى الكوفة، وخروج اثني عشر ألفاً من القراء من جيش علي، كانوا نواة لفرقة الخوارج التي تمكنت من قتل علي وإفراغ الساحة السياسية الإسلامية من المنافس القوي العنيد لمشروع معاوية السياسي^(٢).

وهكذا يتجلى لنا أن معاوية بن أبي سفيان، كان يعمل سراً وعلانية على تحقيق مشروع أمية الأول السياسي، في الظفر بالسلطة كملك عضوض لهم، يقاومون به نفوذ بني هاشم . وقد أفاد معاوية من علاقات الأمويين التاريخية بأهل الشام، فعمل طيلة فترة حكمه كوالٍ على تأكيد سلطته عليها، حتى أنه لم يظهر فيها ممتعضاً ضد حكمه على نقيض ما حدث في سائر الأمصار الإسلامية. وهذا ماجعله ينشئ من أهل الشام جيشاً قوياً ينازل به جيش الخليفة علي بن أبي طالب في صفين ويرغمه على عقد صحيفة التحكيم وقبوله . وكان ذلك بداية الوهن السياسي والتراجع أمام المشروع الأموي الرامي إلى إعلان الخلافة الأموية وتوريثها على نحو ما نعلم .

(١) نبيه عاقل: الإمبراطورية البيزنطية ص ١٠٦، ط. بيروت، ١٩٧٠م.

(٢) د. قصي الحسين: تجديد الدولة العربية زمن الأمويين ص ١٦.

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

ولأهمية المكان والمد التوسعي جغرافياً وسياسياً، فقد سعى معاوية إلى الاستيلاء على مصر، وبسط نفوذه عليها، وانتزاعها من سلطة الخلافة الشرعية. وذلك بعد أن نجح في الإيقاع بين علي بن أبي طالب وواليه على مصر "قيس بن سعد بن عبادة". حيث كان وجود قيس في مصر أثقل شئ على معاوية كما يقول الكندي والطبري^(١): لهذا فقد حاول معاوية استمالته بشتى الطرق، ولما لم ينجح في ذلك لجأ إلى الحيلة. وسعى إلى الإيقاع بين علي وقيس. يقول كل من الكندي والطبري: "إن معاوية كان يحدث رجالاً من ذوي الرأي في قریش فيقول: "ما ابتدعت من مكيدة قط أعجب إليّ من مكيدة كدتُ بها قيس بن سعد حين امتنع مني قيس، قلت لأهل الشام: لا تسبوا قيساً ولا تدعوا إلى غزوه، فإن قيساً لنا شيعاً تأتيها كتبه ونصيحته، ألا ترون ماذا يفعل بإخوانكم النازلين بخربنا؟، يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سربهم ويحسن إلى كل راكب يأتيه منهم"^(٢). فلما بلغ ذلك علياً اتهم قيساً، وعزله عن ولاية مصر. وكانت تلك غلطة فادحة دفع عليٌ ثمنها ضياع مصر من يده^(٣).

ومن ثم فقد أفاد معاوية من ولاء أهل الشام له، حيث تقوى بهم في توسيع نطاق دولته التي بدأ يكونها في حياة عليّ، وعلى مسمع ومرأى منه إلى الدرجة التي جعلته يمسك بزمام المبادرة، وفرض على عليّ أن يقف موقف الدفاع حتى عن عقر داره في العراق. حيث إن جند عليّ لم يتقاعدوا عن المسير معه لحرب معاوية في الشام فقط، بل جبنوا وتناقلوا حتى عن الدفاع عن بلادهم.

(١) الولاة والقضاة، ص ٢٢، مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٨م، تاريخ الطبري

ج ٤/٥٥٠، د. عبد الشافي عبد اللطيف، مرجع سابق ص ١٠١.

(٢) الولاة والقضاة، ص ٢١.

(٣) تاريخ الطبري ج ٤/٥٢٢، د. عبد الشافي عبد اللطيف: السابق، ص ١٠٢.

فعندما هاجم النعمان بن بشير عين التمر ، لم يذعنوا لأمر عليّ بالنهوض للدفاع عنها. فقال لهم : " يا أهل الكوفة كلما سمعتم بمنسر (المنسر القطعة من الجيش تكون أمامه) من مناسر أهل الشام أظلكم، انجحر كل امرئ منكم في بيته وأغلق بابه انجحر الضب في جحره ، والضبع في وجارها، الغرور من غررتموه، ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، لا أحرار عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء، إنا لله وإنا إليه راجعون. ماذا منيت به منكم؟ غمى لا تبصرون وبكم لا تنطقون وصم لا تسمعون. إنا لله وإنا إليه راجعون".^(١)

ويعقب د. عبد الشافي عبد اللطيف قائلاً^(٢): "هكذا وصل حال الإمام علي مع أهل العراق، بينما كان أهل الشام يواصلون زحفهم وتقدمهم واقتطاع أجزاء من دولته، فقد استولوا على الحجاز، ثم أرسل معاوية "بسريرين أرطاة" إلى اليمن في ثلاثة آلاف، فلما مر على المدينة، هرب منها وإليها من قبل عليّ "أبو أيوب الأنصاري" ، ولحق بعليّ في الكوفة. فدخلها بسر وبإيعه الناس لمعاوية ثم سار إلى مكة ففعل أهلها كما فعل أهل المدينة، ثم استأنف سيره إلى اليمن، وكان عليها من قبل عليّ "عبد الله بن عباس" ، فلما بلغه مسير بسر، فر هارباً تاركاً أولاده ولحق بعليّ في الكوفة"^(٣).

وكان عدوى أهل الكوفة سرت في ولاية عليّ، فلم يثبت أحد منهم في مكانه وكانوا في كثير من الأحيان يتركون ولاياتهم لقمة سائغة لجيش معاوية.

* *

(١) الطبري، جـ ١٣٥/٥.

(٢) مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٣) تاريخ الطبري، جـ ١٣٩/٥.

• الشام وولاية العهد وتوطيد ملك بن أمية:

نجح معاوية بن أبي سفيان - كما أسلفنا - في انتزاع السلطة من المجتمع الإسلامي، بعد أن تنازل له الحسن بن علي - إثر مقتل والده بيد الخوارج الذين فشلوا في قتل معاوية - حقناً لدماء المسلمين. بل وتذكر بعض المصادر^(١) أن معاوية قد استبد بالحسن بن علي الذي بويع بالخلافة وأرسل إليه المغيرة بن شعبة ليفاوضه ، فأوعز للجراح بن سنان أن يكمن له فجرحه بمعول ولوى لحيته، فحمل الحسن إلى المدائن وهو ينزف حيث قدم هناك تنازله إلى معاوية، خصوصاً وقد تخلى قائد عسكره عبد الله بن عباس عنه والتحق بمعاوية.

ومهما يكن من حقيقة هذه الرواية إلا أنها تشير إلى واقع لا يمكن إنكاره، ألا وهو عدم قبول معاوية - في كل الأحوال - أن ينصاع لقيادة الحسن ابن علي خليفة للمسلمين.. وأن طموحه نحو انتزاع السلطة واعتلاء عرشها لم يجعله يقبل أن يبايع الحسن، وهو الذي ظل سنوات رافضاً بيعه أبيه علي، بل شاقاً عصا الطاعة ومعلنأ العصيان المدني - بلغتنا - على خليفة شرعي من بني هاشم.

وهكذا تحقق حلم معاوية في الوصول إلى الخلافة وانتصار المشروع الأموي باستعادة ملك ظلت عين أمية عليه طيلة الفترة التي تباعدت بين أمية

(١) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٢١٦-٢١٨، تاريخ البعقوبي: ٢/٢١٤-٢١٥، د. قصي بن الحسين: سابق ص ١٧. وإن كنا لا نرجح ما ذهب إليه هؤلاء لعدم معقولية تحقيقه من قبل صحابي كاتب لوحي رسول الله ﷺ ، وإن كنا نجد في المصادر مما ينسب إلى معاوية ما يحتمل منه ذلك، من ذلك قوله: " .. فإذا لم أجد من السيف بدأ ركبتة"، وقوله: " لا أحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا". البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤/ص ٢٠.

المؤسس في الجاهلية الذي جابهه هاشم في حينه، وأخرجه إلى الشام، وبين معاوية المؤسس في الإسلام الذي جابهه علىّ ومعه الهاشميون. حيث ظفر بهم واقتنص الخلافة منهم بأناته وحيلته وشدة دهائه. (١)

* وعلينا أن نتساءل: هل كان للمكان (بلاد الشام) دور في نجاح معاوية في استكمال مشروعه السياسي بتكوين ملك عضوض يحكم العالم الإسلامي ما يقرب من قرن من عمر الزمان؟

لقد ساعد معاوية على تحقيق أهدافه اقتناع أهل الشام بوحدة مصالحهم معه ومع بني أمية، على نحو ما أشرنا من تلك الامتيازات التي كانت تقضي بضرورة إبقاء بلاد الشام بعيدة عن الهجرة غير المحدودة للقبائل العربية إليها لضمان استقرارها وسلامتها من الخطر البيزنطي. (٢)

فلقد استند معاوية في تأسيس دولته إلى رضا القبائل الموجودة ببلاد الشام، وبما أوتى من مقدرة في تفهم العقلية البدوية؛ متبعاً سياسة تكفل له مسaire هذا الاتجاه الذي عرف عنه الشئ الكثير في مكة، حتى بالغت النصوص في تأكيد فهم معاوية عقليات رجال القبائل، فنفذ من خلال ذلك وما يملكه من مال .. إلى التحكم فيهم والسيطرة عليهم. (٣) وبهذه السياسة وأمثالها استطاع معاوية أن يثبت كيان الدولة الأموية، وأن يمهد ليزيد بولاية العهد.

(١) د. قصي الحسين : مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) راجع ما ذكرناه من قبل ص، انظر د. محمد عبد الحي شعبان: سابق، ص ٨٥، عمر سليمان العقيلي : تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٢.

(٣) راجع النصوص التي أوردها المبرد في الكامل ٦١/١، ٣١١، الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، ١٣٥/٦ ، ١٧٢/٦.

== المكان وأهميته في قيام الخلافتين ==

حتى قال له يزيد بن المقفع الكندي: " أنت أمير المؤمنين فإذا مت، فأمر المؤمنين يزيد (ابن معاوية) فمن أبي فهذا ، وأخذ بقائم سيفه فسله"^(١).

وهكذا بدا واضحاً أن معاوية يرتكز في تدعيم وتوطيد ملكه على أهل الشام، ويدعم ذلك ما أشارت إليه بعض المصادر من رد معاوية على جرير بن عبد الله البجلي (مبعوث على بن أبي طالب إليه): "يا جرير إحق بصاحبك ، وأعلمه أنني وأهل الشام لا نجيبه إلى البيعة"^(٢).

وليس ثمة شك في أن نجاح معاوية في إقامة هذه الدولة اعتمد - في المقام الأول - على موهبة غير عادية في السياسة والحكم، وقدرته على استقطاب الأنصار والحلفاء، وعلى إضعاف الخصوم والإيقاع فيما بينهم، فكان لا يتورع أن يستخدم مختلف الوسائل تحقيقاً لغاياته وأهدافه، وهو نهج جديد لم يكن مألوفاً زمن الراشدين، وهو ما حدا ببعض الباحثين^(٣) أن يعتبر معاوية

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح جـ ١، ص ٣٠٧، المسعودي: مروج الذهب ٣/٣٧، ط. دار

التراث - بيروت سنة ١٩٦٨م ، د. ناجي حسن: مرجع سابق، ص ٦٧.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ، ص ١٦٠، نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٥١، ابن

الأثير: الكامل جـ ٣/ص ٢٧٧.

(٣) د. إبراهيم بيضون: تكون الاتجاهات السياسية في الإسلام الأول من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، ص ١٤٦، ط. الثانية ، بيروت، ١٩٨٦م. وقد تجدر الإشارة هنا إلى موقف معاوية من قراء الكوفة الذين تزايد تحركهم المكشوف في الكوفة إلى درجة تهديد سلطة الحكومة، حيث اعتقل قادتهم وأرسلهم إلى دمشق وأعدم سبعة منهم، وكان من بين هؤلاء حجر بن عدي الكندي - أحد القادة المشاركين في حروب الردة، فكان إعدامهم سياسة غير مألوفة ، بل هي المرة الأولى التي يجر فيها إعلام سياسي في الإسلام (د. محمد عبد الحي شعبان: صدر الإسلام والدولة الأموية ص ١٠٠-١٠١).

رائداً للمدرسة الميكافيلية في السياسة ، القائمة على تسويق الوسيلة من أجل الغاية " الغاية تبرر الوسيلة"

ولعل هذا التحول في الفكر السياسي وفي تقاليد الحكم مرتبط في جانب ما بالعامل الجغرافي ، حيث عاش معاوية منذ بداية حركة الفتوح على تخوم الدولة البيزنطية بعيداً عن بساطة إقليم الحجاز وعفوية الحياة الاجتماعية فيه . تم كونه قد وصل إلى السلطة عن طريق القوة ، جعله مفتقراً إلى حمايتها والتأكيد على دور القوة المسلحة كأداة ضرورة لحماية هذه الدولة التي أقامها. وقد حملت القبائل الشامية أعباء هذا الدور الدفاعي عن الدولة، حتى إن تكوين الجيش - في عهده - تم في إطار النظام القبلي التقليدي.

ومهما قيل عن الدواعي التي دفعت معاوية إلى أن يأخذ البيعة لابنه يزيد في حياته سنة ٥٦هـ، في سابقة لم يعهدها المسلمون، فإن هذا السلوك السياسي منه ما كان له أن يتم إلا من خلال ثقته في قوته المدعومة بالعصبية القبلية لأهل الشام، وعلى رأسهم قبيلة كلب أحوال ولي العهد والخليفة القادم، حيث كان معاوية قد عمد إلى ترسيخ أقدامه في الشام وأعد لمثل هذا اليوم عدته من خلال المصاهرات السياسية.

وهكذا ظهر معاوية مستبداً في ترتيباته بشأن الخلافة ، حيث تجاوز كل الكفاءات التي كان من الممكن أن تكون منافساً قوياً لابنه يزيد، سواء كانت هذه الكفاءات من أهل الحجاز أو حتى من بني أمية. ولهذا فإن البيعة كانت في قصر الخضراء (حيث يقيم معاوية). حيث امتنع عن البيعة عدد من زعماء أهل الحجاز المؤثرين في الرأي العام - آنذاك ، مثل: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر. وهناك من يرى معهم^(١) عبد الله بن

(١) انظر الطبري، ج٦ ص ١٧٠.

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

عمر وعبد الله بن عباس. بل تعداهم الرفض إلى بني العاص من البيت الأموي نفسه، حيث قيل إن مروان بن الحكم - الذي كان وقتذاك والياً على الحجاز - احتجَّ على هذا الأمر. ناصحاً معاوية بما نسب إليه: "اعدل عن تأمير الصبيان، وأعلم أن لك من قومك نظراء".^(١)

وهنا يمكن القول بأنه كان هناك مرشحان بارزان من بني أمية، أحدهما مروان بن الحكم" ولكن مروان لم يمكث في الشام كثيراً، ولذلك فإن معاوية "لم يكن واثقاً من حصوله على تأييد الجيش السوري (الشامي) له"، أما المرشح الثاني فهو ابنه يزيد- على نحو ما أشرنا- فقد كان ينماز عن مروان بعنصر هام، وهو أنه كانت أمه من قبيلة كلب الشامية، فضلاً عن أنه قضى حياته كلها بين أهل الشام. لذلك كان معاوية واثقاً كل الثقة تقريباً من ولائهم وتأييدهم لهذه الخطوة التي تعد مغامرة، لكنها مأمونة بفضل اعتماده على التأييد المكثي من خلال ولاء أهل الشام.

وقد يكون من المفيد أن نذكر وصية معاوية قبيل موته لابنه يزيد: "أنظر أهل الحجاز فإنهم أهلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب. وأنظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل. فإن عزل عامل أحب إلى من أن تشهر عليك مائة ألف سيف. وأنظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شئ من عدوك فانتصر بهم، فإن أصببتهم فاررد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم."

وتمضي الأحداث لتؤكد أهمية الاعتماد على المكان وتأييده في نجاح دولة بني أمية من خلال دعم التواجد القبلي، وإنكاء العصبية القبلية بين

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج-٣/ص٢٧، ولعل مروان كان طامعاً في أن يكون هو المرشح.

القيسيين واليمانيين حتى كان من عوامل ضعف هذه الدولة وانهيارها ، وعوامل قوة ونجاح تلك القوة الناشئة في الخفاء (العباسيون) هو الاعتماد على التأييد القبلي المرتبط بالمكان. حيث وجود مجموعتين عربيتين متناقضتين كلياً في (مرو) عاصمة إقليم خراسان وتتألف المجموعة الأولى (المضرية) من قدماء المقاتلة الذين كانوا يتراجعون باستمرار أمام قوى الاختلاط والانصهار، ويزدادون تخوفاً على وضعهم في الولاية (خراسان) ، والمجموعة الثانية وهم من العرب الذين اندمجوا بالسكان ، وعرفوا بالمستوطنين. وبين المضرية والمستوطنين كان المقاتلة اليمانية وهم آخر النازحين إلى مرو . وفي ظل الاضطراب الذي ساد الدولة الأموية، لا سيما في إقليم الشرق، اقتنع المستوطنون (عرب خراسان) بأن الثورة الناشئة المنظمة تنظيمياً جيداً هي وسيلتهم للخلاص من هذا الوضع المتردي، وكانت هذه الثورة قد برزت إلى حيز الوجود في منطقة الهاشمية، حيث ظل أصحاب هذه الثورة يدعون إلى قضيتهم - طوال ربع قرن- بين المستوطنين في مرو حتى نجحوا - أخيراً - في تحويل ثورتهم المحلية إلى ثورة شاملة قضت على حكم بني أمية.^(١)

* *

(١) د. محمد عبد الحي شعبان: مرجع سابق، ص ١٩٦-١٩٧. وهذه الثورة هي ثورة العباسيين على نحو ما سنذكر.

الأمويون في الأندلس

ولو أننا تجاوزنا من الناحية الزمنية كلاً من الخلافتين الأموية والعباسية، لأمكننا ملاحظة ذلك من خلال بعض النماذج (على سبيل المثال لا الحصر)

تروى لنا المصادر أن هناك أميراً أموياً تمكن من الفرار من المذابح الكبرى التي حدثت للأمويين وهرب من الشام إلى مصر ثم إلى المغرب الأقصى ثم عبر البحر ليصل إلى الأندلس في رحلة يمكن وصفها بالمعجزة، (إنه صقر قريش عبد الرحمن الداخل) الذي أحسن اختيار المكان الذي أراد أن يحقق فيه طموحه السياسي في استرداد ملك بني أمية. وما من شك في أن البعد المكاني لإقليم الأندلس عن السلطة المركزية للعباسيين في الهاشمية (قرب الكوفة) آنذاك، وحصانة هذا الإقليم أو خصوصيته الجغرافية، بحيث بدا كما لو كان قلعة حصينة نائية عن قبضة الخلافة العباسية، (أقول كل هذا) كان دافعاً قوياً لعبد الرحمن الداخل نحو تحقيق طموحاته، ولكنه كان مدعوماً بدوافع أخرى من أهمها: اعتماده على مؤازرة العصبية القبلية التي صاحبتة في رحلة فراره، حيث وجد الحماية والملجأ في طرابلس من سكانها البربر من قبيلة (نفرة) التي تنتمي إليها أمه (راح)، وهو ما أغراه في بادئ الأمر بمحاولة التفكير في الاستيلاء على إفريقية ليعت فيها ملك قومه الزائل، ولكنه وجد أن واليها (عبد الرحمن بن الحبيب الفهري) قوي القبضة محكمة السيطرة عليها متجاوزها وصرف نفسه عن المغرب إلى الأندلس، وهو إقليم أكثر ثراءً ورخاءً وأمناً بالنسبة له، لبعدها - كما أسلفنا - عن قبضة خصومه العباسيين. ووظف عبد الرحمن الداخل العصبية القبلية في هذا الإقليم بما يحقق هدفه المنشود من خلال إحداث التوازن بين قبائل المضربة واليمانية، فالتف حوله الجند الشاميون الذين كانوا يدينون بالولاء لبني أمية (وعلى رأسهم زعيمهم

د. هاشم عبد الراضي

أبو عثمان بن عبيد الله . وأيده اليمنية بدافع عصبيتهم وكراهيتهم للوالي
المضري يوسف الفهري . ونجح بذلك عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨هـ — أن
يدخل قرطبة وأن يُبايع بالإمارة فيها، ويبسط نفوذه لمدة بلغت ثلاثة وثلاثين
عاماً. أقضَ فيها مضجع أبي جعفر المنصور الذي أفصح عن موقفه منه بقوله:
" الحمد لله الذي جعل بيننا وبين هذا الشيطان (ويقصد عبد الرحمن الداخل)
بحراً".

* *

أهمية المكان وقيام الخلافة العباسية

قد يكون من الضروري لدى الباحثين في التاريخ أن يقفوا أمام سقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية. فمن العبرة التاريخية أن يُعَلَّم ما تخلل بين سقوط هذه وقيام تلك من العوارض والأسباب، وما صُرِفَ من المجهودات، لأنه ليس من السهل الهين سقوط دولة وقيام أخرى بمجرد ظهور عزم القائمين على الأمر، إذا لم يكن العزم مقترناً بمقدمات وأسباب قائمة على العلم والتدبير والذكاء".^(١)

وإذا كنا قد ختمنا حديثنا عن أهمية المكان في نجاح خلافة بني أمية، بوصية معاوية لابنه يزيد التي كشفت لنا عن إدراك معاوية لخطورة وأهمية دعم أهل الشام لدولتهم . فإنه حري بنا أن نستهل حديثنا عن الخلافة العباسية بوصية محمد بن علي بن عبد الله بن العباس التي بعث بها في خطابه إلى بعض دعائه:

"أما الكوفة وسوادها فشيعة على وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف، وتقول: كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل.. وأما الجزيرة (جزيرة العراق) فحرورية مارقة (وفي رواية: صادقة) وأعراب كأعلاج ، ومسلمون في أخلاق النصارى، وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وطاعة بني أمية، وعداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة، فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر. ولكن عليك بخراسان، فإن فيها العدد الكثير

(١) عبد العزيز الثعالبي : سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، ص ٥٢، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م. ثم انظر ما كتبه د. فاروق عمر فوزي في هذا الشأن (الخلافة العباسية) في جزأين ، ط. دار الشروق الأردن سنة ١٩٩٨م ، (الثورة العباسية) دار النشر ذاتها سنة ٢٠٠١م. (طبيعة الدعوة العباسية) ط . أولى ، دار الإرشاد - بيروت سنة ١٩٧٠م.

والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة، وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء، ولم تنوزعها النحل، ولم يقدح فيها الفساد، وهم جند لهم أبدان، وأجسام ومناكب، وكواهل وهامات، ولحى وشوارب، وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة.. وبعد فإني أنفاعِل إلى المشرق مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق".^(١)

ولسنا بصدد الحديث عن خطوات الدعوة السرية للخلافة العباسية، فهذا من الأمور التي تناولها كثير من الباحثين^(٢)

وإنما نحاول أن نلقي الضوء على أهمية المكان والتدابير الوقائية التي روعيت في أمكنة الدعوة العباسية، ومحاور انتقالها . وما حققته طبيعة هذه الأمكنة الجغرافية، الديموجرافية في إنجاح الدعوة وبزوغها إلى النور ثم إلى مسرح الأحداث السياسية.

* *

بعد تنازل الحسن بن علي لمعاوية، واستشهاد الحسين في كربلاء سنة ٦١هـ، زمن يزيد بن معاوية. حظى بنو هاشم أو (آل البيت) بتعاطف كبير من الرأي العام نحوهم. وكان آل البيت - حتى هذه اللحظة - مقصوداً بهم العلويين أكثر من غيرهم. أما الفرع الثاني من آل البيت وهم آل العباس بن عبد

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٢٣٤-٢٣٥، تقديم د. محمد مخزم - بيروت ١٩٨٧م، الباحث: قضايا ومواقف من التاريخ العباسي ، ص ٥٦-٥٧، ط. دار النشر للجامعات، سنة ٢٠٠١م، وابن قتيبة: عيون الأخبار ج ١/ص ٢٠٤.

(٢) د. حسين عطوان: الدعوة العباسية مبادئ وأساليب، د. فاروق عمر فوزي: الثورة العباسية ، د. إكرام الحجيلان: الدعوة العباسية ودور العرب فيها، د. عبد الله بن علي المسند: العلويون والعباسيون ودعوة آل البيت، أحمد علي: العهد السري للدعوة العباسية.

المطلب، فلا يمكن القطع بمعرفة الكثير عن طموحاتهم السياسية، إلا ما تجود به بعض المصادر من حرص العباس على استمرار الرئاسة في بني هاشم، دون أن يطمع في توليتها وأفصح عن ذلك لابن أخيه على أثناء مرض الرسول صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، حيث قال له: " اذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر (الخليفة) فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصي الناس بنا فقال على: " لا أفعل والله لئن منعناه لا يؤتيانه أحد بعده".

وبنظرة سريعة إلى تاريخ الطموح السياسي للعباسيين نجد أن المصادر - كما أسلفنا - لا تذكر للعباس أي طموح سياسي لنيل الخلافة بعد رسول الله (ﷺ)، وإن كان الرسول (ﷺ) قد أبقى سقاية الحجاج على عاتقه بعد فتح مكة. كما أن ابنه عبد الله بن العباس لم يكن طموحاً من الناحية السياسية، وكانت علاقته بالعلويين طيبة، كما كانت علاقته أيضاً بالأمويين حسنة، وإن كانت بعض الروايات ذات الصبغة العباسية تظهره بمظهر المدافع عن حق العباسيين في البلاط الأموي إلا أن المعتقد أن عبد الله بن عباس كان يلمح - أحياناً - بحق الهاشميين بصورة عامة^(١) وليس حق العباسيين على وجه الخصوص.

ويبدو لي أن بني أمية - بحكم حنكتهم السياسية - قد أخذوا بمنهج الحيطة والحذر، وأقطعوا بني العباس إقطاعاً قريباً منهم، حيث أسكنوهم الحميمة (وهي بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام)^(٢) لتظل تحركاتهم تحت المجهر الأموي، وعلى مرأى ومسمع من الحكومة المركزية في دمشق.

(١) فاروق عمر فوزي: الثورة العباسية، ص ٩٠، ومن المعروف أن عبد الله بن عباس كان

متولياً إمارة البصرة من قبل على بن أبي طالب، ثم اعتزلها بعد مقتله.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣٠٧/٢، والشراة صقع يقع بين دمشق والمدينة المنورة،

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان قد أقطعها لعلي بن عبد الله (الحميري: الروض

المعطاء في خبر الأقطار ص ١٩٩).

وتشير المصادر إلى أن الحسن بن عليّ كان قد استعان - بعد استشهاد أبيه- بابن عباس وعهد إليه بقيادة الجيش الذي كان قد حشده أبوه (علي بن أبي طالب) لمواجهة معاوية، في معركة فاصلة، غير أن هذا القائد قد وهن عزمه عندما نما إليه أن الحسن قد فكر في التنازل عن الخلافة وأنه يفاوض رسل معاوية من أجل تحقيق هذه الغاية ، ومع أن عبد الله أو عبيد الله (ابن عباس) وسائر العباسيين لا يرضيهم أن تخرج الخلافة من البيت الهاشمي إلى البيت الأموي، فإنه (أي :عبد الله) أو أخاه قد رأى أن يعمل لصالحه وصالح أهل بيته، ويكسب له مكاناً في سلطان الغالب وهو معاوية. ولهذا فإنه لم يكد يأتيه عرض معاوية بدخوله في طاعته ، وبذل له المال من أجل ذلك حتى غادر عسكره ليلاً وانضم إلى عسكر معاوية^(١). ومنذ هذه الوهلة والعباسيون يتظاهرون بالإخلاص لدولة بني أمية ، لكنهم غير راضين عن انتقال الخلافة إليهم (بني أمية) وتعاقبها فيهم من رجل إلى رجل. بل وكانوا يعدون العدة ويجمعون الأهبة للإدالة منهم، والعمل على زوال سلطانهم، والدليل على هذا ما جاء في الطبري وغيره من أنهم كانوا يوحون إلى شيعتهم بأن الأمر صائر إليهم، وأن خيولهم سوف تجتاح الظلم والظلام وتعيد الحق إلى أهله وأولى الناس به. وربما اعتمد بعض الباحثين على ما أشارت إليه بعض المصادر^(٢) من أن بني العباس حاولوا استقطاب الأشياء واجتذاب الأنصار والأتباع من خلال السيطرة على عواطفهم ومشاعرهم بأحاديث تشير إلى أن النبي (ﷺ) قد

(١) الطبري: ج٥/ص ١٥٨، د. إكرام الحجيلان: الدعوة العباسية ودور العرب فيها، ص ٤٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٤/٣٠١-٣٠٢، ابن كثير: البداية والنهاية ٦/٢٤٥-٢٤٨، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣١-٣٦. د. إكرام الحجيلان: مرجع سابق، ص ٤٤.

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

نبأ بأن الخلافة صائرة إليهم في أعقابهم إلى أن يسلموها إلى عيسى بن مريم، بيد أنها أحاديث سقيمة، قد وصفها كل من ابن كثير والسيوطي بالضعف. ^(١)

وأياً ما تكن الروايات التي تشير إلى أن الدعوة قد انتقلت من العلويين على يد أبي هاشم عبد الله بن محمد الحنفية إلى بني العباس، عندما استدعى أبو هاشم إلى بلاط سليمان بن عبد الملك، الذي أرتاب في شأنه، فأغرى به من دس له السم وهو في طريق عودته سنة ٩٨هـ، مما حدا به أن يعرج على أبناء عمومته من بني العباس في الحميمة حيث يقيم عميد العباسيين آنذاك (علي بن عبد الله بن العباس) وكان رجلاً تقياً معروفاً بالسجادة، فعهد بالأمر إلى ابنه محمد بن علي. وأعلم أبو هاشم شيعته من أهل العراق وخراسان أن الأمر صائر إلى ولد محمد بن علي، وأمرهم بقصده بعده ^(٢)

* *

• اختيار البيئة الصالحة للدعوة :

يقول د/حسين عطوان ^(٣) : "ركز العباسيون دعوتهم في خراسان، وإنما اصطفوا هذه البيئة وفضلوها على غيرها من البيئات لأنها كانت مهياة لقبول دعوتهم، وملائمة لتحرك دعائهم فقد كانت قاصية عن حاضرة الخلافة الأموية (دمشق) قُصُوراً كبيراً، وكانت خالية من الأهواء الحزبية خلواً كثيراً . وكان لها تركيب بشري متميز، فإن معظم سكانها كانوا من العجم وأقلهم كانوا من العرب، وكان للعجم مشكلات اجتماعية ومالية مزمنة متفاقمة ، وكان للعرب مشكلات سياسية ومالية متأزمة مستفحلة".

(١) البداية والنهاية ج٦/٢٤٥-٢٤٦، تاريخ الخلفاء ص ٣٠-٣٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٥/٥٣، أحمد علي: العهد السري للدعوة العباسية.

(٣) الدعوة العباسية مبادئ وأساليب ص ١٥-١٦.

ويبدو أن هذا الاستتباط معتمد على وصية محمد بن عليّ العباس التي أسلفنا إيرادها. بيد أن بعض المصادر^(١) تشير إلى أن إقليم خراسان لم يكن من المواطن التي تخلو من الفرق الإسلامية والمذاهب السياسية، إلا أن هذه الفرق لم تكن مهمة في العصر الأموي ؛ إذ كان إقليم خراسان ملجأ لزعماء الفرق يفرون إليه، ويعتصمون به بعد انهزامهم في العراق وفارس . فلم تنتشر بها مقالة فرقة بعينها انتشاراً واسعاً، ولم تستحكم في أهلها استحكاماً شديداً.

وتجدر الإشارة إلى أن اختيار خراسان لتكون المحور الأساسي لمثلث الدعوة (الحميمة - الكوفة - خراسان) كان موفقاً من قبل محمد العباسي. إذ إن وصيته السالفة لتصور بوضوح نزعات الأقاليم الإسلامية، وإن لم يكن قد أشار فيها إلى مصر على الرغم من قربها من بلاد الشام ولكنها - كما ذهب د. فاروق عمر^(٢) لم يكن بالإمكان اتخاذها مركزاً لحركة معارضته أو لإعلان ثورة. أما إفريقية فقد اصطبغت المعارضة فيها بصبغة خارجية منذ زمن طويل، ذلك لأن البربر اتخذوا المبدأ الخارجي ليعارضوا به الحكم الأموي.

أما (فان فلوتن)^(٣) فقد أرجع اختيار خراسان إلى عوامل عديدة منها نظرية الحق الملكي المقدس الساسانية، والمصاهرة المزعومة بين العلويين والساسانيين (زواج الحسين من ابنة الملك الساساني) ومنها ما عناه "الخراسانيون" من ضغط اقتصادي واجتماعي على يد الأمويين.

والواقع أن اختيار خراسان قد اجتمعت فيه عوامل كثيرة، لعل من أهمها أنها كانت عامة بالعناصر العربية التي عانت من ظلم الأمويين، والذين

(١) رسائل الجاحظ جـ ١/ص ١٦، تحقيق : عبد السلام هارون، مجهول: أخبار الدولة العباسية ص ٢٠٦، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ص ٣١٥.

(٢) الثورة العباسية ص ١١٤.

(٣) السيادة العربية، ص ١٢.

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

عبروا عن تضرهم من السياسة الأموية المالية والعسكرية في ظل الصراع القبلي والتنافس على السلطة . لاسيما وأن هؤلاء العرب المستوطنين في خراسان كانوا من خيرة المقاتلة العرب الذين تمرسوا على فنون القتال والحرب من خلال حروب الفتوحات في هذا الإقليم.

ولا شك أن فهم الخلافات الحادة بين القبائل العربية التي كانت تقطن خراسان يتطلب قراءة متأنية للتركيبة الديموجرافية والخريطة القبلية المتشابكة الخطوط^(١) حيث يبدو من مطالعتها أن الخلافات الذميمة والتناحر القبلي الذي كان مستشرياً هما اللذان عجلا بتفسخ الحكم الأموي وانهيار دعائمه، وساعد ذلك على ازدهار الدعوة العباسية ونجاحها وهيمنتها على مقاليد الأمور هناك.

ولقد بدأت الخلافات في البصرة بين بكر وتميم، ودخلت الأزدي (خصوصاً أزد عمان الوافدة على البصرة) عنصراً محالفاً لبكر، وانتقلت هذه الخلافات من البصرة إلى خراسان؛ لأن العرب الذين فتحوا خراسان كان أغلبهم من البصريين. لذا يرى فلهوزن " أن خراسان كانت أشبه بمستعمرة تابعة للبصرة"^(٢) وهناك تنازعت بكر وتميم على الأراضي، وكل منهما تدعى أنها سبقت إلى احتلالها والاستقرار فيها، وحدث التطاحن القبلي، وما يستتبعه من أحقاد وثورات. وغدا الجيش الإسلامي الرسمي العربي يحارب على جبهتين : جبهة الفرس والترك وغيرهما من أقوام ما وراء النهر، وجبهة أبناء جلدته من القبائل الرافضة المتمردة. وفي خراسان تحالفت الأزدي (وقد انتقلت إلى هناك مع

(١) أورد المستشرق يوليوس فلهوزن تحليلاً متأنياً وقراءة جيدة لأوضاع القبائل في هذه المنطقة في كتابه (تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية) ص ٣٨٠-٤٦٦، ثم أنظر أحمد علي: مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢) تاريخ الدولة العربية ص ٣٨٠-٣٩٣.

المهلب بن أبي صفرة الأزدِي الذي ولاه الحجاج (مع بكر وربيعه من اليمن ضد تميم وقيس، وهما من مضر.

ولقد راح القائد المظفر الفاتح قتيبة بن مسلم ضحية هذه الصراعات القبلية، حينما تألّبت عليه القبائل الكبرى، والمصاحبة له، عندما بادر بخلع طاعة سليمان بن عبد الملك، معتقداً أن سليمان - الذي ولي الخلافة إثر وفاة أخيه الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦هـ - سيعزله، حيث غضب الجند من تعجل قتيبة بخلع طاعة سليمان^(١) فثاروا عليه وقتلوه وحملوا رأسه إلى الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك.

وعندما تولى نصر بن سيار خراسان مال إلى تميم بصفة خاصة، وعندما تأزمت الأوضاع وصار الحكم الأموي في خطر داهم حاربتَه الأزد برئاسة جديع الكرمانِي (ت: سنة ١٤٩هـ) الذي كان شديد الكراهية لنصر بن سيار ولا يطمئن إليه البتة. وهكذا فإن السيادة العربية في خراسان أنهكتها الخلافات القبلية هناك إنهاكاً متواصلاً. استغله أبو مسلم الخراساني (أبرز وأهم دعاة العباسيين) أفضل استغلال، حينما عمل على توسيع هوة الشقاق بين العرب في صفوف نصر بن سيار - والي الأمويين - وذلك من خلال إيقاع الفتن بينهم وتأليب بعضهم على بعض، وإثارة الأحقاد القديمة. فقد كان من مبادئ أبي مسلم التي يشيعها بين جنوده: " أكثروا من ذكر الضغائن والإحن، فإنها تبعث على

(١) يبدو أن قتيبة توجس من سليمان، حينما آلت إليه الخلافة، إذ كانت العلاقة بين سليمان والحجاج ورجاله ومنهم قتيبة غير حسنة (قيل لأنهم كانوا قد وافقوا الوليد على خلع سليمان من ولاية العهد وتولية ابنه عبد العزيز ابن الوليد). فخشي قتيبة أن يعزله سليمان فبادر بخلع طاعته قبل أن يصله تجديد ثقة سليمان به وإرسال عهد له بولاية خراسان. فراح قتيبة ضحية تسرعه ولم تشفع له بطولاته (الطبري ج٦/ص ٥٠٦، البلاذري: فتوح البلدان ص ٥٢١، د. عبد الشافي عبد اللطيف: مرجع سابق ص ٣٥٥، أحمد علي: سابق ص ١١٤).

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

الإقدام^(١) ويبدو أن أبا مسلم الذي اساني كان ملتزماً بوصية إبراهيم الإمام (ابن محمد بن عليّ العباسي) التي جاء فيها:

"يا عبد الرحمن إنك صرت رجلاً منا أهل البيت، احفظ وصيتي. أنظر هذا الحي من اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم. وأنظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم ولا تركز إليهم، وأنظر إلى هذا الحي من مضر، فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت في أمره منهم، ومن كان في أمره شبهة، ومن وقع في نفسك منه شيء، وإن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل - (وربما قصد - في اعتقادنا - العرب غير الموالين للدعوة العباسية) - وأما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ولا تخالف سليمان بن كثير (وهو أحد الدعاة العباسيين) فإنه شيخ دولتنا ولا تعصه. وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني. فسره مودعا على بركة الله".^(٢) .. وقد سار أبو مسلم على هذا المنهج الدموي في ترسيخ قواعد الدولة العباسية، وبالحق في تطبيقه حتى قيل إنه قتل ممن أتهم "ووقع في نفسه منه شيء" نحو ستمائة ألف شخص.

وهكذا تأكد لدينا أن اختيار خراسان لتكون مركزاً للدعوة العباسية الناشئة لم يكن أمراً اعتباطياً قائماً على البعد المكاني عن مركز الخلافة الأموية (دمشق) فحسب، وإنما اكتسب هذا الإقليم كثيراً من المقومات التي أدت إلى

(١) الباحث: قضايا ومواقف من التاريخ العباسي ص ٦١.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٥/ص ٣٤٧-٣٤٨، عبد العزيز الثعالبي: سقوط الدولة الأموية ص ٥٨، وكان سليمان ابن كثير من حملة من قتلهم أبو مسلم بالشبهات، ولهذا حاسبه المنصور فيما بعد على ذلك (انظر د. محمد حلمي: الخلافة والدولة في العصر العباسي ٣٦-٣٧، د. علي حبيبة: العباسيون في التاريخ ص ٤٦، الباحث: قضايا ومواقف من التاريخ العباسي، ص ٦٠).

نجاح الدعوة العباسية، وإعلان الخلافة العباسية، بعد أن نجح أبو مسلم - بفضل سياسته - أن تصير له اليد العليا على جميع القادة في الإقليم، وتمكن من الاستيلاء على نواحي خراسان، ولم يبق له إلا "مرو"، حيث دار إمارة نصر ابن سيار، التي تسلل إليها بعد أن استطاع إشعال نار الحرب بين اليمنيين والمضريين، وكان قد تظاهر بنصرة اليمنيين - بزعامة جديع بن على الأزدي الكرمانى (ت: سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م)، وتسورها واحتل دار الإمارة، والقتال على أشده بين نصر بن سيار الوالى المضري، وابن على الكرمانى الزعيم اليمنى^(١) ... وهو يتلو: "ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها، فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه" (سورة القصص ١٥).

ومن ثم فقد باءت محاولات نصر بن سيار في الاستغاثة بالخليفة الأموي مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ) بالفشل، بعد أن فشل الخليفة وعجز عن تلبية استغاثته التي قال فيه فيها:

أرى خلل الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
لئن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها كلام
فقلت من التعجب ليت شعري أيقاظ أمية أم نيام^(٢)!

(١) وكان يقول إذا التقى الفريقان للقتال: " اللهم أفرغ عليهما الصبر وانزع عنهما النصر

(تاريخ اليعقوبي جـ ٢/ص ٤٠٨).

(٢) الأبيات من بحر الوافر (ابن قتيبة الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٤٠، ابن الأثير:

الكامل جـ ٥/ص ٣٣).

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

ويبدو أن خليفة بني أمية كان - بالفعل - نائماً، وأن نصراً كان ينعق بما لا يسمع إذ " لا حياة لمن ينادي". كما عجز أيضاً يزيد بن عمر بن هبيرة - الوالي الأموي على العراق عن نصره نصر حينما ناشده قائلاً:

إن خراسان أرض قد رأيت بها بيضاً لو أفرح قد حدثت بالعجب

فرد عليه يزيد قائلاً: "لا تكثر، فليس عندي رجل" ^(١) وهكذا نجد أن نصراً لم يظفر من ابن هبيرة بأكثر مما ظفر به من مروان. فوجد نفسه وحيداً في ميدان ملئ بمعارك لا قبل له بها. ففر هارباً، ومات في ربيع الأول سنة ١٣١هـ، بين الري وهمدان، وبموته فقدت الخلافة الأموية رجلاً من أبرز أنصارها وأكثرهم تفانياً في الدفاع عنها. ^(٢)

وبذلك كانت خراسان كما ذكر مؤلف كتاب " أخبار العباس وولده" ^(٣) في خراسان جمجمة العرب وفرسانها.

وكما كان اختيار خراسان موفقاً، فإن اختيار الحميمة - أيضاً - لم يكن أقل توفيقاً وأهمية إذ إن الحميمة - كما أسلفنا - كانت تقع في أحضان دمشق، وكانت إقطاعاً منحه الأمويون لبني العباس، وهو ما ينفي احتمال اتخاذها مقراً لحركة سرية ضد الأمويين، الذين كانوا يأمنون - في أغلب الأحيان - إلى جانب العباسيين. وهي - بالإضافة إلى ذلك - قرية صغيرة قليلة الاتصال بالقرى والمدن، فلا يشتبه في دخول الدعاة والنقباء إليها وهم في زي التجار.

أما الكوفة فقد كانت في منتصف الطريق بين خراسان والحميمة، حيث تتجمع فيها العناصر الموالية لآل البيت منذ اتخذها علي بن أبي طالب عاصمة

(١) الكامل ٣٤/٥، وفي رواية الطبري " لا غلبة إلا بكثرة وليس عند رجل".

(٢) الباحث: مرجع سابق، ص ٦٣.

(٣) ص ١٩٠، وهو مؤلف مجهول، وأنظر د. فاروق عمر: الثورة العباسية ص ١١٤.

===== د. هاشم عبد الراضي =====

له. وهي في عدااء سافر مع بني أمية، وتعد نفسها خصيمة دمشق ومنافستها
كعاصمة للعالم الإسلامية .

ومع هذا المثلث المحوري تحركت الدعوة العباسية في تناسق كامل،
وسرية مطلقة وراح دعائها ونقباؤها ينتشرون كالإخطبوط. ولم يتم كشف أمرها
إلا بعد أن كان الزمام قد أفلت من بني أمية ، ولم يعد من الممكن إخماد ذلك
الحريق الذي فاقت ضراوته قدرات الأمويين.

* *

خلاصة وتعقيب

- (١) أكد البحث على الجذور التاريخية لعلاقة التنافس بين بني أمية وبني هاشم وتطلع بني أمية نحو التغلب على نفوذ بني هاشم بشتى السبل، حتى بعد أن دخلوا في حوزة الإسلام.
- (٢) عرف بنو أمية إقليم الشام منذ العصر الجاهلي، وغرسوا فيه ثمار مشروعاتهم السياسي الذي استهدفوا من خلال تحقيقه التأكيد على قوة بني أمية وقدرتهم السلطوية على تحقيق الملك.
- (٣) أدى التوزيع الجغرافي للقبائل العربية - سواء أكان مقصوداً - كما في الفتوحات الإسلامية، أم غير مقصود كما هو الحال في الهجرات العربية، إلى استيطان بعض القبائل العربية في إقليم الشام، وهو ما دفع معاوية بن أبي سفيان إلى استغلال التركيبة الديموجرافية للإقليم في تكوين رأي عام مساند لقضيته ومشروعه.
- (٤) دفعت السياسة وحب السلطة والتطلع إلى سمائهما معاوية بن أبي سفيان ﷺ إلى أن يتجاوز بعض الشئ في تغليب دهائه وحنكته مما جعل سلوكه يبدو مغايراً لما عهد عن سلوك الخلفاء الراشدين.
- (٥) دعم معاوية ﷺ نفوذه السياسي في الشام الذي خبره ومكث فيه طيلة حياته العسكرية والسياسية، بمصاهرة سياسية مع قبيلة كلب، وهي من أكبر القبائل تواجداً ونفوذاً في الإقليم. وهو ما شجعه على الاستمرار في تحقق الطموح الأموي بالاستيلاء على السلطة فابتدع فكرة ولاية العهد، وجعلها في ابنه (يزيد) ليقينه بأنه سيدعم بولاء أهل الشام له، لاعتبارات الإقامة ونصرة الأخوال.

(٦) أحسن معاوية استغلال التوزيع القبلي في توطيد سلطانه ودعم نفوذه وشغل الشعوب بالفتوحات الخارجية لصرف أنظارهم عن التحول السياسي الخطير الذي اتبعه وهو مبدأ توريث الحكم الذي تابعه الأمويون برعاية بعده .

(٧) اكتوى بنو أمية بنيران الصراع القبلي الذي أفادوا منه في نشأة دولتهم، بل وكان ذلك إيذاناً بأفول ملكهم وانهيار سلطتهم.

(٨) أحسن عبد الرحمن الداخل استغلال موقع الأندلس والعصبية القبيلة فيه وسعى لإحياء ملك بني أمية الزائل هناك.

(٩) لم يكن العباسيون أقل ذكاءً في الاعتماد على أهمية المكان ودور البيئة المكانية والسكانية في القيام بثورتهم.

(١٠) أحسن العباسيون توظيف الصراع القبلي في إقليم خراسان لصالح دعوتهم الناشئة.

(١١) اعتمد العباسيون محوراً ثلاثياً للدعوة يتمتع بحسن التخطيط وأهمية واستراتيجية الموقع ، وهو "الحميمة - الكوفة- خراسان".

(١٢) لا يمكن القطع بأن المكان وحده (جغرافيا) يضطلع بأعباء نجاح الدول وقيامها. وإنما يفتقر الموقع الجغرافي إلى عوامل أخرى تشكل الشخصية الإقليمية لأهل المنطقة، مما يساعد في نجاح وقيام الدول أو حتى في سقوطها.

(١٣) يدعو البحث إلى ضرورة كشف اللثام عن الدور المحوري الذي تضطلع به البيئة أو المكان من خلال الشخصية الإقليمية (أو عبقرية المكان) في كثير من الأحداث التاريخية الرئيسة، كقيام الدول وسقوطها، ونجاح الثورات وفشلها.

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

وبعد فإله أسأل أن أكون قد وفقت في محاولة إبراز الدور المحوري للبيئة والمكان في قيام الخلافتين الأموية والعباسية. وقد جاءت الأطروحة مختصرة ؛ لتركيزها على بؤرة البحث ، وهو الكشف عن عبقرية المكان الذي اختاره الأمويون مهداً ومجالاً لتحقيق طموحاتهم السياسية ، وكذلك الإقليم الذي استغله العباسيون في إنجاح ثورتهم، وإخراجها من طور الخفاء إلى مسرح الأحداث العلنية في تاريخ المسلمين.

فإن كنت قد وفقتُ - فيما أردتُ - فله الفضلُ والمنّة، وإن كانت الأخرى فحسبي أني قد اجتهدتُ.. و"ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".

* *

- قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث مرتبة ترتيباً هجائياً، حسب أسماء مؤلفيها دون النظر إلى (ابن - أبو - أل)، وربما أغفل الباحث إيراد عدد من المصادر والمراجع في هذه القائمة - رغم الإحالة إليها في ثنايا البحث - مغبة الإطالة .

أولاً: المصادر:

- ١- ابن الأثير: عز الدين على بن محمد بن محمد بن عبدالحكم الجزرى (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

(أ) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق : خيرى سعيد، ط. المكتبة التوفيقية - القاهرة ٢٠٠٢م.

(ب) الكامل في التاريخ - عشرة أجزاء، تحقيق: أبى الفداء عبدالله القاضى، ط. دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧م.

- ٢- ابن أعثم الكوفى : أحمد بن أعثم الكوفى (ت: ٣١٤هـ).

- الفتوح. ط. أولى - مكتبة دارالكتب العلمية - بيروت، ط - أخرى بتحقيق: على شيرى. دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٤١١هـ.

- ٣- الأصفهاني: أبو الفرج على بن الحسين (ت: سنة ٣٥٦هـ/سنة ٩٦٦م).

(أ) الأغاني، ٢٢ جزءاً . ط. دار الثقافة - بيروت سنة ١٩٦١م.

(ب) مقاتل الطالبين . شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، ط. مؤسسة الأعلى للمطبوعات - بيروت سنة ١٩٨٧م.

- ٤- البلاذرى: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (ت: سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

(أ) أنساب الأشراف - تحقيق: د. محمد حميد الله.

(ب) فتوح البلدان - تحقيق: د. صلاح الدين المنجد - النهضة - المصرية - القاهرة.

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

- ٥- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩م).
(أ) البيان والتبيين، ٤ أجزاء، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط. لجنة التأليف والترجمة - القاهرة ١٩٦٠م.
(ب) رسائل الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون. مكتبة الخانجي سنة ١٩٧٩م.
- ٦- ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت: ٥٩٧ هـ / ١٢٩٠م).
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا. ط. دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٣م.
٧- ابن حزم: أبو محمد بن أحمد بن سعيد (ت: سنة ٤٥٦ هـ / سنة ١٠٦٣م)
- جمهرة أنساب العرب. ط. دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٨٣م.
٨- الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م)
- معجم البلدان . ط. دار صادر - بيروت
٩- الحميري: محمد بن عبدالمنعم الحميري
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عباس - لبنان
١٠- الحنبلي: أبو الفتوح عبدالحى بن العماد الحنبلي (ت ١٠٧٩ هـ / ١٦٧٨م)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط. دار المسيرة - بيروت سنة ١٩٧٩م.
- ١١- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م)
(أ) المقدمة. تحقيق: د. علي عبدالواحد وافي، ط. الثالثة. القاهرة.
(ب) العبر وديوان المبتدأ والخبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون. ط. بيروت.
١٢- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، ط. بيروت.

- ١٣- خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت: ٢٤٠هـ)
- تاريخ خليفة بن خياط ، بعناية د. مصطفى نجيب فواز، د./ حكت كشلي فواز، ونسخة بتحقيق: د. أكرم العمرى. مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٧٩م. ط. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥م.
- ١٤- ابن دحية: أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي (ت: ٦٣٣هـ/ ١٠٥٣م.)
- النبراس فى تاريخ خلفاء بن العباس. صححه وعلق عليه: عباس العزاوى، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٤٦م.
- ١٥- أبو حنيفة الدينورى: أحمد بن داود الدينورى (ت: ٢٨٢هـ) .
- الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، جمال الشيال. شركة الأرقم ابن الأرقم سنة ١٩٩٦م.
- ١٦- ابن قتيبة الدينورى: أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينورى (ت سنة ٢٧٦هـ)
- (أ) عيون الأخبار. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة سنة ١٩٧٣م.
- (ب) المعارف. تحقيق: د. ثروت عكاشة. ط دار المعارف. القاهرة.
- (ت) الإمامة والسياسة "المنسوب له"، تحقيق: د./ طه الزينى - مطبعة الحلبي - القاهرة.
- ١٧- الذهبى: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت: سنة ٧٤٨هـ).
- (أ) سير أعلام النبلاء. مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٩٨٦م.
- (ب) دول الإسلام. تحقيق: محمد فهد شلتوت، محمد مصطفى إبراهيم. الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م.
- ١٨- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهرى (ت: ٢٣٠هـ)

المكان وأهميته في قيام الخلافتين

- الطبقات الكبرى. ط. دار صادر ، وطبعة أخرى بعناية محمد حمزة النشرتى.
- ١٩- السمعاتى: عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمى (ت: ٥٦٢هـ).
- الأنساب . ط. دار المعارف العثمانية. حيدر آباد . الدكن - الهند، سنة ١٩٦٢م.
- ٢٠- السيوطى: عبدالرحمن بن أبى بكر، جلال الدين السيوطى (ت: ٩١١هـ)
- تاريخ الخلفاء. ط. دار القلم - بيروت سنة ١٩٨٦م.
- ٢١- الطبرى: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبرى (ت: ٣١٠هـ)
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف سنة ١٩٦٠م.
- ٢٢- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)
- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب . مكتبة نهضة مصر - القاهرة.
- ٢٣- ابن العربى: أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربى الأشبلى المغافرى (ت: ٥٤٣هـ)
- العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب - المكتبة الإسلامية - بيروت.
- ٢٤- العصامى: عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامى الملكى (ت: ١١١١هـ)
- سمط النجوم العوالى فى ابناء الأوائل والتوالى. ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م.
- ٢٥- ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمدانى (توفى أواخر القرن الثالث الهجرى)

- مختصر كتب البلدان، ط أولى - بيروت ١٩٨٨م.
- ٢٦- الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف (ت: ٣٥٠هـ)
- كتاب الولاة والقضاة - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨م.
- ٢٧- مجهول: أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبدالعزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة - بيروت سنة ١٩٧١م.
- ٢٨- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت: سنة ٣٤٦هـ)
- (ا) التنبيه والإشراف. ط. دار التراث ، بيروت سنة ١٩٦٨م.
- (ب) مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط. المكتبة العصرية - بيروت سنة ١٩٨٨م.
- ٢٩- المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ).
- (ا) إمتاع الأسماع، صححه وشرحه: محمود محمد شاكر، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤١م.
- (ب) النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم - المطبعة الحيدرية، النجف سنة ١٩٦٦م.
- ٣٠- نصر بن مزاحم النفري (ت: ٢١٢هـ)
- وقعة صفين تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون
- ٣١- ابن هشام: أبو محمد بن عبد الملك بن هشام (ت: ٢١٣هـ) .
- ٣٢- الواقدي : محمد بن عمر (ت: سنة ٢٠٧هـ)
- = فتوح الشام ، المكتبة الشعبية ، بيروت .
- ٣٣- ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت : ٢١٣ هـ) .
- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين.
- ط. الحلبي سنة ١٩٥٥م.

المكان وأهميته في قيام الخلافتين
اليعقوبى: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى (ت: ٢٠٢هـ).

- البلدان طبعة دار صادر بيروت .

ثانيًا: المراجع:

٣٣- د. إبراهيم بيضون: تكون الاتجاهات السياسية فى الإسلام الأول من دولة عمر إلى دولة عبدالمك. ط. ثانية. بيروت سنة ١٩٨٦م.

٣٤- إحسان صدقى العمدة: الحجاج بن يوسف الثقفى. دار الثقافة. بيروت سنة ١٩٧٣م.

٣٥- أحمد أمين

(أ) فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية. القاهرة سنة ١٩٧٥م.

(ب) ضحى الإسلام. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة سنة ١٩٧٢م.

٣٦- أحمد على: العهد السرى للدعوة العباسية (أو من الأمويين للعباسيين) ط. أولى. دار الفارابى. بيروت سنة ١٩٨٨م.

٣٧- أرنولد: سبرت. و. أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوى. ط. القاهرة. سنة ١٩٧٠م.

٣٨- إكرام الحجيلان: الدعوة العباسية ودورالعرب فيها - مكتبة العبيكان. الرياض سنة ٢٠٠٠م.

٣٩- د. جمال حمدان: شخصية مصر. دراسة فى عبقرية المكان. ط. دار الهلال - العدد ٥٠٩، ط. سنة ١٩٩٦م.

٤٠- د. حسين عطوان: الأمويون والخلافة. دار الجيل- عمان. الأردن سنة ١٩٨٦م.

د. هاشم عبد الراضي

- الدعوة العباسية. تاريخ وتطور (مبادئ وأساليب) ط. دار الجيل سنة ١٩٨٤م.

٤١- د. حمدي شاهين: الدولة والمجتمع في العصر الأموي. دار النشر للجامعات سنة ١٩٩٩م.

٤٢- خير الدين الزركلي: الأعلام. ط. دار العلوم للملايين - بيروت سنة ١٩٨٤م.

٤٣- الخضري (الشيخ محمد) : تاريخ الأمم الإسلامية (العصر الأموي، العصر العباسي).

٤٤- صدر الدين شرف الدين: هاشم وأمية في الجاهلية. ط. دار العلم. بيروت سنة ١٩٨١م.

٤٥- د. طه حسين: الفتنة الكبرى. دار المعارف سنة ١٩٦١م.

٤٦- د. عبدالشافى عبداللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموي. ط. الرابعة . مكتبة المتنبى سنة ٢٠٠٢م.

٤٧- د. عبدالعزيز الدوري

١) مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى. ط. الخامسة دار الطليعة - بيروت سنة ١٩٨٧م.

ب) مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام. المطبعة الكاثوليكية . بيروت سنة ١٩٦١م.

٤٨- عبدالعزيز الثعلبى : سقوط الدولة الأموية وقيام دولة العباسية: دار الغرب الإسلامى سنة ١٩٩٥م.

٤٩- د. عبداللطيف حمزة: الإعلام فى صدر الإسلام. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠١م.

- ٥٠- د. عبدالله بن علي المسند: العلويون والعباسيون ودعوة آل البيت ط. المنار سنة ١٩٩١م.
- ٥١- د. عمر سليمان العقيلي: تاريخ الدولة الأموية. كلية الآداب . جامعة الملك سعود سنة ٢٠٠٢م.
- ٥٢- د. علي حبيبه: العباسيون في التاريخ . مكتبة الشباب. القاهرة. سنة ١٩٨٠م.
- ٥٣- د. فاروق عمر فوزي: الثورة العباسية. دراسة تاريخية لواجهتها الدينية والسياسية. ط. الشروق سنة ٢٠٠١.
- ٥٤- قان فلوتن : السيادة العربية والشيوعية والإسرائيليات فى عهد بنى أمية. ترجمة وتحقيق: حسن إبراهيم حسن، محمد زكى إبراهيم. ط. دار السعادة سنة ١٩٣٤م.
- ٥٥- د. قصي الحسين: تجديد الدولة العربية زمن الأمويين. ط. لبنان سنة ١٩٩٧م.
- ٥٦- د. ليبيد إبراهيم أحمد وآخرون: الدولة الإسلامية فى العصر الأموى.
- ٥٧- د. محمد حلمي محمد أحمد:
- (أ) الخلافة والدولة فى العصر الأموي . مكتبة الشباب . القاهرة سنة ١٩٨٠م.
- (ب) الخلافة والدولة في العصر العباسي مكتبة الشباب . القاهرة سنة ١٩٧٩م.
- ٥٨- محمد عبد الحى شعبان: صدر الإسلام والدولة الأموية. ط. الأهلية للنشر- بيروت سنة ١٩٨٣م.

٥٩- محمد نبيه حجاب: الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديمًا وحديثًا. دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع. سنة ١٩٩٨م.

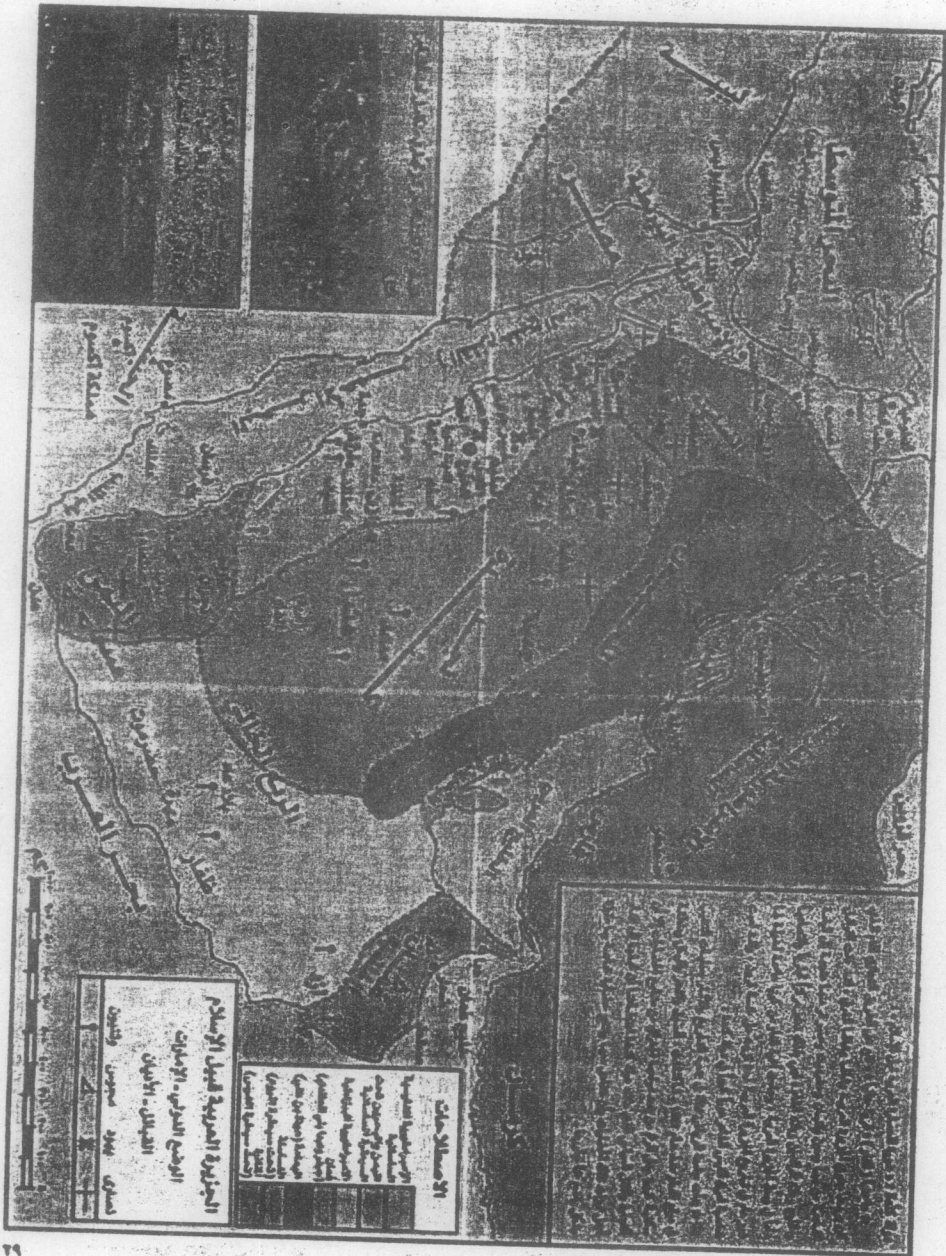
٦٠- د. نبيه عاقل: = الإمبراطورية البيزنطية. ط. بيروت سنة ١٩٧٠م.

= (تاريخ خلافة بني أمية) ، دار الفكر — بيروت سنة ١٩٧٥م

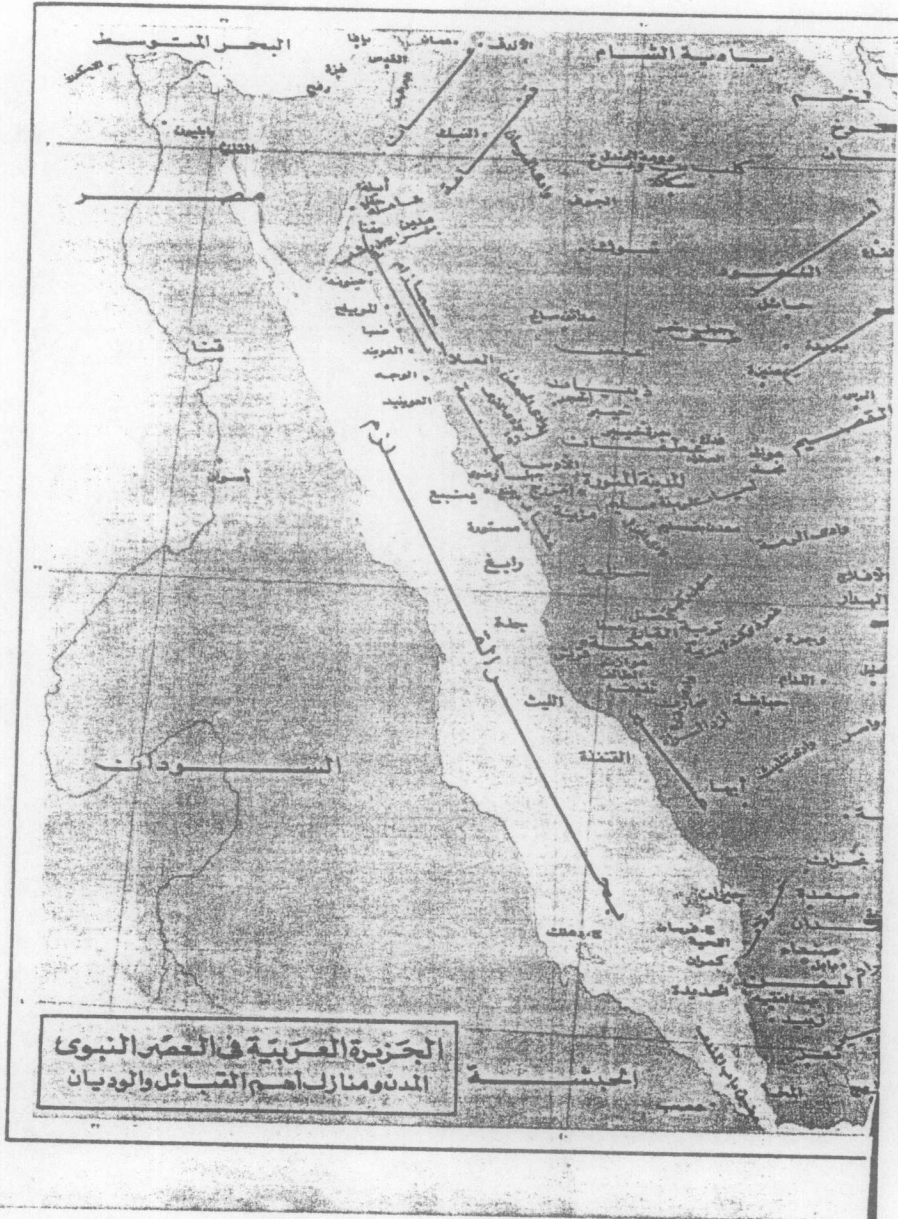
٦١- د. هاشم عبد الراضي: = قضايا ومواقف من العصر العباسي. دار النشر للجامعات سنة ٢٠٠١م.

٦٢- يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام على نهاية الدولة الأموية. ترجمة د./ محمد عبدالهادي أبو ريدة ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة سنة ١٩٥٨م. وأعيدت طباعته في ٦١٤ صفحة سنة ٢٠٠٨م.

والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة



- هذه الخارطة مقتبسة من (أطلس التاريخ العربي الإسلامي) للدكتور شوقي خليل ص ٢٩ ، ط. دار الفكر - سوريا ٢٠٠١ م .



هذه الخارطة مقتبسة من (أطلس تاريخ الإسلام) للدكتور حسين مؤنس ، ط .

دار الزهراء للإعلام العربي ص ٥٥